اني انا مولاكِ فاحني رأسك الـ عالي لديَّ وطأطئيه امامي
ماذا ارى من ذا الذي هو قادم نحوي ... تعال تعال انت مرامي

(هنا يدخل طمسن سكرتيره)

ريشار ـ أعرفت ماذا قد جرى لي ...

طمسن ـ نعم جاءت امرأتك

ريشار ـ اي امراة ؟

طمسن ـ جاني . انسيتها ؟

ريشار بغضب شديد ـ ويل لها من غضبي وانتقامي

ثم خرج قاصداً مقابلتها لطردها والتفرغ منها

فيا ايتها الافعى التي خدعتِ آدم وكنتِ سبباً في سقوطه . يا افعى الاثرة واللذة والسيادة والطمع التي دعا اليها الفيلسوف نيتشش كما يُدعى الى الاهة قادرة مقدّسة . انك لا تزالين تستغوين اعاظم الناس حتى هذا الزمان (ستاءُ في البقية)

مشاهدات في اميركا

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

١

سقياً لك ايها العمل

حين وطأت قدمي ارض اميركا الشمالية وجدت فيها عدة كتب من مصر والشام واميركا الجنوبية وغيرها يذكر فيها اصحابها أسفهم لانتقال الجامعة من مصر مقرونًا بالمسرة لذلك الانتقال لان الجامعة ستتمكن به من درس اعظم مدنية في العالم ونشر آثارها عبرة وعظة للامم الشرقية . فاجبتُ مراسليَّ الافاضل ان اميركا قد اكتُشفت منذ زمن بعيد وما جئتُ لاكتشافها . ولكني مع جوابي هذا الجواب كنتُ اشعر بانني ما اجبت به الا على سبيل الاتضاع الكاذب الذي يعمد اليه الانسان حين ارادة تكبير الثناء الموجه اليه

بدل تصغيره وزيادته بدل انقاصه . . فانني في الساعة التي كنت فيها في الاسكندرية أتراوح بين الانتقال وعدم الانتقال . في الدقيقة التي احتك فيها هذان الامران في نفسي احتكاكهما الاشد ولزم الترجيح بينهما . لم تتغلب في نفسي ارادة الانتقال على ارادة البقاء في مصر الا بسببين . احدهما ذكرته في المنشور الذي وزعته من مصر وهو الرغبة في ضم عمل تجاري الى عمل صحافي والثاني وهو الذي كان داعياً الى تحميس النفس واثارة الفكر الرغبة في مشاهدة اميركا ودرس احوالها . فاذا كانت هذه الرغبة قد هوّنت عليّ اصعب الامور لديّ فلا عجب ان تكون في مقدمة رغائب قراءي اليّ

ولما قطعت البحر المتوسط الى فرنسا حسبت نفسي انني ما زلت في وطني . وقد قال الفرنسويون في امثالهم التي بعضها لا يخلو من الغلو والمبالغة « لكل انسان وطنان وطنه الذي ولد فيه وفرنسا » فجلتُ في فرنسا جولة ابن البلاد الذي يعرف اشياءها واشخاصها حق المعرفة . ويحضرني الان في هذا الصدد نادرة صغيرة . فانني لما دخلت الى متحف كريفين في باريز مع اثنين من الاصدقاء اخذ الدليل يسرد لنا تاريخ مشاهير الرجال الممثلين بالشمع في هذا المتحف ، واندفع في ذلك يخبط خبط عشواء . فلما رآني أراجعه بلطف في (تاريخه) واذكر اسماء الرجال معجباً باسماً اول ما يقع نظري على تماثيلهم ثاب الى التؤدة والتأني وصار لا يذكر لنا شيئاً الا اذا سالناه عنه . ولكني لما وصلت الى الهافر وجلستُ اكتب الى الاسكندرية آخر كتاب من العالم القديم قبل ركوبي الباخرة الى العالم الجديد بساعة واحدة شعرت حينئذٍ بوحشة حقيقية وزاد ألم الغربة في نفسي زيادة ما كنت اتوقعها . فشعرت حينئذٍ شعوراً شديداً بلذة البلاد التي فارقتها في الشرق وبخطارة الامر الذي اقدمت عليه من تفريق عائلة مجتمعة منذ ستين سنة وهدم ادارة في قارة لبنائها في قارة وضغط على عواطف عائلية وعادات خصوصية . وربما كانت هذه الدقيقة عندي اصعب الدقائق من يوم سفري . ولكن هل يعلم القارىء ماذا كان تسليتي الوحيدة في وثبي هذا الوثوب من معلوم الى مجهول ؟ ان تسليتي الوحيدة التي كانت تخفف عندي مرارة كل ألم هي تلك الرغبة التي ذكرتها في مقدمة الكلام — الرغبة في مشاهدة اميركا والمعيشة فيها حيناً من الدهر . فتصورت شاتوبريان تائهاً في احراش اميركا العذراء بين قبائل الهنود يدرس الطبيعة والناس ويتعزّى بهذا الدرس عما لقيه في وطنه هو وآباؤه في ابان الثورة الفرنسوية من الاضطهاد والعدوان . تصوّرتُ مكسيم غوركي يصيح هذا العام قبل قدومه الى العالم الجديد (اميركا اميركا متى اضع قدمي على ارضك) ويقول

انه قادم اليها ليستمد من روحها قوة جديدة تزيد قوته على محاربة الاستبداد والجهل والاثرة في بلاده . واي شيء في الدنيا كالعمل والسياحة والدرس يقوّي نفس الانسان ويزيدها معرفة بالاشياء والاشخاص في هذه الدنيا ويحملها على زيادة التسامح والمعذرة لفهمها اخلاق الناس حقّ الفهم . اي نعم ايها العمل المقدّس يامعزّي الانسان ومسليه عن كل امل ذاهب وظن خائب . لقد قمتَ في نفسي في تلك الدقيقة الصعبة مقام كل شيء . ان عاطفة العائلة والوطن والصداقة والالفة الراسخة بحكم العادة والمصلحة وكلام الناس وغريزة اتقاء الالم والضرر كل هذه قد انحنت وخضعت امامك في نفسي باشارة من يدك

٢

النظرة الاولى

ثم هوّن الله السبيل ووصلت الى نيويورك بعد ان قطعنا في الاوقيانوس مسافات عمق الماء فيها ٥٠٤٧ قدماً وهو اعظم عمق (١)

قال الهمزاني « اعيذك من النظرة الخادعة » وهو يعني بالنظرة الخادعة النظرة الاولى التي ينظر بها الرائي ويحكم بحسبها حكماً فاسداً لعدم تأنيه وامعانه . واجتنابًا لهذه النظرة الخادعة « لا اذكر هنا تاثراتي وانفعالاتي حين وصولي الى نيويورك بل اكتفي بان اصوّر الوسط الذي اصبحت فيه تصويراً فوتوغرافيًا واترك الحكم الى حين آخر . ولكن هذا لا يمنعني من ان اذكر الان ما رايته هنا من « قوات عظمى » تكيّف اخلاق هذا الشعب العظيم وتجعل له المكان الاسمى بين شعوب العالم

انني ابدأ اولاً بالصورة ثم اعود الى ذكر القوات العظمى وأردفها بعد ذلك بالمشاهدات العظيمة والفوائد العلمية والاجتماعية الجليلة والفكاهات المطربة التي رأيتها في هذه البلاد

قبل وصولنا بيومين الى نيويورك ارتفع الضباب فغطى وجه الاوقيانوس وصارت باخرتنا تسبح في بحرين من الماء والضباب . فهرع ربان الباخرة الى موقفه في المقدمة وجمع نفراً من البحارة هناك استعداداً للطوارئ . ثم اخذت الباخرة تصوّت ببوقها البخاري تصويتاً مزعجاً متصلاً فيه شيء من الشكوى والانين كصوت غول هائل يصيح مناديًا صغاره (٢) وقد

(١) هذا العمق كائن في ما وراء « نيوزيلاند » بين الدرجة ٤٥ و ٥٠

(٢) اختراع جديد — راينا في الجرائد الاخيرة ان ضابطاً ايطاليًا اخترع آلة تمنع اصطدام السفن التي يكتنفها الضباب في البحر فمتى اصبحت السفينة على مسافة ٦٠٠ يرد من

استمر الضباب حتى ليلة وصولنا . ففي الليل انقشع الضباب وكنا في السفينة قد شعرنا برائحة البر لانهم اعلنوا اننا سنصل في الساعة التاسعة مساء . فقبيل الساعة التاسعة لمحنا النور منبعثاً من منارة نيويورك فصاح الركاب صيحة الفرح والابتهاج واجتمعنا في جانب الباخرة ننتظر عودة امواج النور . ثم حانت منا التفاتة فابصرنا مركباً شراعياً اميركياً صغيراً فتحققنا اننا اصبحنا على مقربة من البر فاندفع جميع الركاب نحو جهة المركب وصاروا يصيحون ويهتفون ويحيون بحارة المركب والبحارة يحيونهم بمثل تحيتهم . وكانت حمى البر — حمى الوصول الى البر بعد مشقة السفر سبعة ايام كاملة تدب في مفاصلنا دبيب الحمى . وصار كل منا يشعر بان التضامن الذي كان بيننا نحن الركاب قد اخذ يحل واصبح كل يفكر في نفسه وفي شغله في الغد

ويظهر ان سماء نيويورك ارادت ان تستقبلنا استقبالاً عظيماً فبعثت في تلك الليلة بزوبعة هائلة يصحبها رعد يصم الآذان وبرق يخطف الابصار . فضحكنا لهذه الزوبعة لاننا اجتزنا موضع الخطر وحمدنا الله انها لم تصبنا ونحن في عرض الاوقيانوس لان الجو كان هادئاً والبحر ساكناً طول الايام السبعة . وبينما نحن منبسطون آمنون واذا بصوت هائل من الجو ترتعد له الفرائص . وشعرنا بهزة في الباخرة . وكان السبب ان صاعقة وقعت على مقربة من الباخرة واشبع الجو حول الباخرة كهرباء حتى امر الربان بدخول الركاب الى اماكنهم في السفينة . فعرتنا خشية لاننا لم ننج من الخطر غرقاً لنقع في الخطر حرقاً . فدخلنا قاعة الاستقبال في ظهر الباخرة وقلنا لرفيقين معنا موسيقيين واحد رومي قادم من فلادفستوك في الصين وواحد اميركي كانا يشنفان آذان الركاب في اثناء الطريق ان يوقعا على البيانو والكمنجه توقيعاً يسكن اعصاب الزوبعة او يغطي صوتها على الاقل بصوت اعلى منه . فاندفع الموسيقيان يوقعان الحاناً شجية والسيدات يرقصن الرقصة الاخيرة . وفي اثناء الرقص والغناء التفت من نافذة القاعة فابصرت في الجو امراً ادهشني . ابصرت لاول مرة كيف تقع الصاعقة . فانني رأيت في الجو فوق سطح البحر بمائتي متر خطاً هائلاً لولبياً من نار يأخذ جماله الابصار مقروناً برعد هائل صمت له الآذان . ولست انسى هذا المنظر البديع في حياتي . ان العالم الجديد اراد ان يرينا عظمته وشدة عناصره قبل وصولنا اليه

وقد رست السفينة تلك الليلة خارج الميناء فبقيت وحدي على ظهر الباخرة اروح واجيء

سفينة اخرى خرج من كل واحدة منهما مجرى كهربائي قوي يضغط على آلة في السفينة الاخرى وهذا الضغط يتصل الى آلات الباخرة فيوقفها فتقف السفينتان معاً

واتأمل في انوار المدينة حولي وانا غير مصدق انني وصلت الى نيويورك سيدة مدن العالم الجديد التي كنت اراها في تصوراتي وآمالي . فبقيت على ظهر الباخرة حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل لان الكرى هجر جفني . ولكن لا بد من النوم اجتنابًا لضعف القوى في الصباح . فنزلت الى غرفتي ونمت اربع ساعات . وفي الصباح دخلت الباخرة بنا الى مرفاء نيويورك اعظم مرافىء العالم

رسائل ومسائل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تُلقى عليها معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة

اجوبة الاقتراح

(تابع للجزء الثالث)

هل يمكن ان تتخذ المرأة في العائلة صديقًا لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما

٨

يمكن للمرأة المتمدنة حقيقةً والمهذبة والمحبة لزوجها ان تصادق رجلاً من غير عائلتها دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما هذا اذا كانا كلاهما فوق الثلاثين من العمر . والعكس بالعكس .

ماريدا يوكاتان نقولا سمعان

٩

الله خلق آدم ثم صنع امرأة منه له . البارود والنار لا يلتقيان

مونت كلمنس نعوم مرعج